إمبراطورية نابليون العظمى

• جيوش نابليون تجتاح أوربا:

لم يعمل نابليون فحسب على تقوية فرنسا من الداخل، وإنما سعى كذلك لإقامة إمبراطورية كبرى تزيد من نفوذها الخارجي. وهو ما أثار قلق الدول المحيطة فتحالفت كل من النمسا وروسيا والسويد مع إنجلترا لوقف أطماع نابليون، ولأجل تحقيق ذلك الهدف خاض نابليون سلسلة من الحروب الناجحة على مدار الفترة ما بين1805م1807-م، واستطاع من خلال تلك الحروب فرض سيادته على مناطق شاسعة من أوربا، وبعد ذلك اتجه شرقًا محاولاً توسيع نفوذ إمبراطوريته فى ذلك الاتجاه بغزو روسيا.

• تدعيم الجيش الفرنسي، وإعادة تنظيمه:

لكى يحقق نابليون حلم الإمبراطورية المنشودة كان لابد أن يمتلك جيشًا قويًا مهابًا، وهو ما سعى لتحقيقه بحماس وغلظة.. فقد دعا إلى تعبئة الجيش بنظام التجنيد الإجباري، وكان المجندون يجيئون من مختلف أنحاء فرنسا، وكان أغلبهم من الفلاحين والفقراء الذين لا يفقهون شيئًا عن أمور العسكرية

obeikandl.com

لكنهم تدربوا جيدًا على فنون القتال من خلال معسكرات التدريب التى تركزت على الشواطئ الفرنسية الواقعة على بحر الشمال، وبحر المانش، واستطاع نابليون بذلك الدعم زيادة قوته العسكرية بشكل كبير حيث وصل عدد المجندين إلى نحو 210 آلاف جندي وضابط، كما عمل نابليون على زيادة الاهتمام بسلاح البحرية ليقوى على منافسة الأسطول الإنجليزي، وأصدر أوامره ببناء عدد كبير من السفن والنقالات، وتوسيع الموانئ البحرية، ولكن رغم ذلك ظل هناك فارق كبير بين الأسطولين، كما أدخل نابليون بعض النظم الحربية الجديدة حيث يعتبر نابليون أول من وضع نظام الكتائب الثابتة، وقام بتعيين عدد 18قائدًا عامًا، أومارشال لقيادة تلك الكتائب المنظمة.

- **حُلم غزو الجزر الإنجليزية، وعبور المانش الذى لم يتحقق:**

لقد وقف الأسطول الإنجليزي القوي عقبة منيعة ضد غزو نابليون للجزر الإنجليزية.. فقد امتلك أفخر وأقوى السفن فى تلك الفترة كالتى تظهر بالصورة.

قال نابليون الطموح الواثق بنفسه فى حديث له: "ليس المانش إلا حفرة لا يتطلب عبورها كثيرًا من الأقدام"، وادعى أنه قادر على غزو الجزر البريطانية فى أربعة أيام لكن ذلك الحديث المتفائل الذى يقترب من الحلم لم يكن ليتحقق بتلك السهولة.. ومن أهم أسباب ذلك حالة الأسطول الفرنسي المتواضعة بالنسبة للأسطول الإنجليزي القوي بقيادة "نيلسون" الذى كان يجوب البحار الأوربية بثقة وثبات.

• الاستعداد لغزو الجزر الإنجليزية:

كان لابد لقيام نابليون بتلك الخطوة من الاهتمام بثلاثة أمور هى:تكوين جيش قوي، ووضع نظامًا يكفل نقل الجيوش والمؤن، وتجهيز قطع بحرية قوية تحمي عبور هذه الجيوش. وقد سعى بالفعل نابليون إلى الأخذ بهذه الأمور الثلاثة. لكن الأمر الثالث كان أصعب تلك الأمور حيث كان على نابليون أن يستخدم ذكاءه الحربي وخططه الماكرة للإفلات من الأسطول الإنجليزي الحامي لبحر المانش.

• موقعة "ألم ulm":

فى مارس سنة1805م تحرك الأسطول الفرنسي من ميناء طولون بقيادة "فيلنيف" متجهًا إلى عرض البحار، وكان مخططًا له مهاجمة الجزر الإنجليزية.وتضمنت الخطة القيام بتضليل أسطول نيلسون باجتذابه وراءه فى الاتجاه للهند، ثم

تضليله عن الأسطول الفرنسي الذى يعود مرة أخرى بعد إفساح بحر المانش أمامه ليلتقي هناك بأسطول فرنسي آخر، ونجحت الخطة بالفعل حيث سار نيلسون بأسطوله فى أعقاب الأسطول الفرنسي، وتمكن "فيلنيف" من مراوغته والابتعاد عنه والعودة مرة أخرى فى اتجاه بحر المانش، ولكن الإنجليز كشفوا تلك الحيلة حيث جهزوا عددًا من القطع البحرية الأخرى لحماية السواحل، وسد طريق بحر المانش أمام الأسطول الفرنسي، وأدرك نابليون أن خطته قد انكشفت، فأمر بتسيير أسطوله نحو النمسا لمهاجمتها بدلاً من الدخول فى مجازفة خطرة بعبور بحر المانش، وهناك حاصرت القوات الفرنسية القوات النمساوية المكلفة بحماية الحدود عند مدينة "ألم" بعدما وقعت فى الفخ، واضطرت للاستسلام فى شهر أكتوبر.

كان نجاح الفرنسيين فى محاصرة "ألم" فى20 أكتوبر سنة 1805 م ضربة قوية للجيش النمساوي.

ترى فى هذه الصورة مجموعة من الخيّالة، ومجموعة من المشاة فى الجيش النمساوي بزيهم العسكري المميز.

لوحة فنية بمتحف لندن تصور وصول جيش نابليون إلى "ألم"، ومحاصرتها.

• معركة أُسترليتز:

فى شهر نوفمبر واصل نابليون تقدمه نحو العاصمة النمساوية "فيينا" حيث نجح فى فتحها فى يوم13من نفس الشهر، وعندئذ بدأت القوات الروسية فى الاستعداد للنزول إلى ساحة الحرب، وزحفت تجاه النمسا لمؤازرتها، لكن "نابليون" تصدى لها وشتت شملها ومنعها من عبور نهر الدانوب، وألحق بها هزيمة كبيرة عند قرية "أسترليتز"فى "مورافيا" فى (2-3) ديسمبر من نفس السنة، وفى تلك المعركة الشرسة بلغ عدد القتلى من الجنود النمساويين، والجنود الروس نحو 35ألف جندي من جيش بلغ عدده من الطرفين نحو83ألف جندي، وأمام تلك الهزيمة النكراء شعرت روسيا بالعار، وأرجعت جزءًا من فشلها إلى الجيش النمساوي الضعيف.وفضلت الانسحاب من ميدان الحرب لكنها لم تعقد الصلح بصورة رسمية مع نابليون، وأدى ذلك الانتصار إلى إضعاف التحالف الأوربي المناهض لفرنسا، ولولا تلك الهزيمة لكان من المحتمل أن تدخل بروسيا الحرب، وتنضم إلى الحلفاء الأوربيين، وهو ما كان سيضع نابليون فى موقف حربي سيئ، وقد حاول نابليون تجنب ذلك منذ البداية بأن أغرى الملك "فريدريك ويليام الثالث" ملك بروسيا بإعطائه ولاية هانوفر.

بعد انتصار نابليون فى أسترليتز، جاء جنوده بالأسرى من الحرس الروسي..وفى تلك اللوحة الفنية يظهر نابليون على حصانه أثناء استعراضه للأسرى الروس.

فى هذه اللوحة الفنية يستقبل نابليون الملكة "لويز" زوجة فريدريك ويليام الثالث ملك بروسيا..التى وصفها نابليون بالعدو الجميل.

• معاهدة برسبرج واتحاد الراين:

بعد ذلك الانتصار الكبير صارت النمسا تحت رحمة نابليون لكنه اكتفى من خلال معاهدة "برسبرج" التى وقعها مع النمسا المهزومة الاستيلاء على جميع ممتلكاتها فى إيطاليا، وعلى سواحل بحرالأدرياتيك، كما قام نابليون بالجمع بين إمارات ألمانيا حيث جعل منها اتحاداً فيدراليًا للراين..على أن تكون كل القوات العسكرية لذلك الاتحاد فى خدمة إمبراطورية فرنسا..وبذلك أصبح نابليون فى الواقع إمبراطورًا على ألمانيا كذلك.

• معركة الطرف الأغر:

الطرف الأغر: هو اسم منطقة داخلة فى البحر على الساحل الجنوبي الأسباني.

بهزيمة روسيا والنمسا فى أسترليتز انهار إلى حد كبير كيان التحالف الأوربي ضد نابليون، وبقيت إنجلترا بالتالي وحيدة فى ميدان الحرب، ولكنها صارت فى الحقيقة أكثر قوة وأكثر سيطرة على البحر المتوسط بعدما استطاع نيلسون قبل معركة أسترليتز أن يمني الأسطول الفرنسي، والأسطول الأسباني بخسائر فادحة فى موقعة "ترافالجارأو الطرف الأغر"، وبذلك تمكنت إنجلترا من اكتساب لقب سيدة البحار بجدارة حيث لم يستطع أى أسطول بحري آخر مواجهة أو اعتراض أسطولها البحري القوي، لكن إنجلترا خسرت خسارة كبيرة فى تلك المعركة بعدما قُتل خلالها الأميرال الكبير "نيلسون" الذى اكتسب لقب أمير البحار، وخلَّدت إنجلترا ذكرى ذلك البطل الحربي الكبير، وذكرى تلك المعركة الكبيرة الناجحة بتخصيص ميدان كبير بلندن يحمل اسم "الطرف الأغر".

- **نابليون ينتقم:**

بعد تلك المعركة التى دمر فيها الأسطول الإنجليزي عددًا كبيرًا من السفن الفرنسية، والسفن الأسبانية فى الطرف الأغر، أصبح نابليون مواجهًا بقوة بحرية مهيبة سيطرت على البحر المتوسط، وهى الأسطول الإنجليزي المنتصر على التحالف الفرنسي الأسباني، وتصديًا منه لتلك القوة ولمحاولة الحد من انتشارها والانتقام منها، لجأ نابليون لمحاولة إغلاق الموانئ الأوربية التى سيطر عليها فى وجه السفن الإنجليزية القادمة إليها بالبضائع، وبذلك تصير السفن الإنجليزية محدودة

الحركة ومحاصرة فى موانيها، فتتعرض رحلات التجارة الإنجليزية للخسائر، وكان نابليون قادرًا على ذلك بعدما تحقق له جزء كبير من السيادة على أراضي، وموانئ أوربا.

• مهاجمة بروسيا..وفتح برلين..وإصدار المراسيم:

لاستكمال مخططه ضد الأسطول الإنجليزي، قام نابليون بمهاجمة بروسيا، وأوقع بالجيش البروسي هزيمتين كبيرتين متتاليتين فى يوم واحد، وهو يوم 14 أكتوبر سنة 1806م، وذلك من خلال معركتي "يينا، وأوستاد"، واستطاع من خلالهما تشتيت القوات البروسية وإضعاف قوتها تمامًا، ثم اتجه إلى برلين، وتمكّن من فتحها وأصدر هناك ما عُرف باسم "مراسيم برلين".

كان المارشال البروسي "فون بلوخر" يمثل عدوًا كبيرًا لنابليون لقدرته المتميزة على تحفيز وشحن الجنود، وقد استطاع القيام بعدة معارك شرسة ضد نابليون.

وفى السنة التالية أصدر كذلك ماعُرف باسم "مراسيم ميلانو" كانت تلك المراسيم تنص على "إغلاق الموانئ الأوربية في وجه كل السفن البريطانية، وبذلك تصير بريطانيا فى حالة حصار اقتصادي"، وقد ردت إنجلترا على تلك المراسيم بأن أعلنت مرسومًا ملكيًا نص على "تحديها لها وشروعها فى محاصرة كل الموانئ الأوربية التى ترفض دخول سفنها إليها"، وكانت إنجلترا قادرة بالفعل على تحقيق ذلك بفضل أسطولها البحري القوي، ولإثبات المزيد من جدارتها البحرية أمام نابليون قامت بتدمير الأسطول الدنمركي المحايد قبل أن يصل إليه نابليون، واستمرت حالة من الصراع غير المباشر بين الطرفين..

- **معاهدة تلست:**

- **الحصار القاري:**

استمرارًا فى تنفيذ نابليون لمخططه ضد بريطانيا لجأ إلى روسيا حيث كانت روسيا فى تلك الفترة بعيدة عن ميدان الحرب حيث إنها فضلت الانسحاب بعدما لم تجد فائدة مرجوة من حلفائها، كما أنها من ناحية أخرى لم تكن على وفاق مع بريطانيا، لذلك فضَّل نابليون الاستعانة بها فى مواجهته لبريطانيا بدلاً من محاربتها، وعلى متن يخت ملكي بنهر "نيمن" دارت مفاوضات بين القائد المنتصر "نابليون"، وقيصر روسيا "ألكسندر" أسفرت عن توقيع "معاهدة تلست" التى بموجبها صار نابليون منفردًا بالسيادة من جهة الغرب

بينما أطلقت يد القيصر من جهة الشرق..بحيث يعمل الطرفان على تنفيذ ما عُرف بالحصار القاري..بمعنى أن يعمل الطرفان على محاصرة بريطانيا تجاريًا، واقتصاديًا بمنع دخول سفنها إلى القارة الأوربية، وشعرت بريطانيا أمام ذلك التحالف بأنها صارت مرة أخرى وحيدة فى ميدان الحرب.

ألكسندر..قيصر روسيا

بعد وفاة أبيه، وضع ألكسندر يده على إمبراطورية روسيا حيث عمل على توسيعها، واستمر فى زيادة نفوذه الخارجي إلى ما بعد انتهاء الحروب البونابرتية حيث انتهى به الحال إلى إصابته بالجنون، واعتزل العرش وقضى بقية حياته كراهب.

• **عائلة نابليون تحكم أوربا:**

بعد تلك المعاهدة التى صار من خلالها نابليون مسيطرًا على أغلب الأراضي الأوربية قام بتقسيمها. لقد كان نابليون شديد الاعتزاز بأفراد أسرته حيث اعتبرهم هبة من الله، لذلك قام بإهداء عروش بعض الدول الأوربية لإخوته وأقاربه من خلال مخططه لبناء إمبراطورية بونابرتية كبرى، فجعل أخاه "لوسيان بونابرت" ملكًا على هولندا، وجعل أخاه "جيردوم بونابرت" ملكًا على وستفاليا..وجعل أخاه "جوزيف بونابرت" ملكًا على نابولي، ثم صار فيما بعد ملكًا على أسبانيا..بينما أصبح صهره "يواخيم مورات" ملكًا على نابولي، كما خصص مقاطعة لأخته "إليز" عند بلدة "بيومبينو" الواقعة على الشاطئ الإيطالي فى مواجهة جزيرة "إلبا".

• **الضيفة الجديدة على عائلة بونابرت:**

• **زواج نابليون الثاني:**

على الرغم من أن نابليون كان مغرمًا بزوجته الحسناء جوزفين إلا أنه بعدما عقد معاهدة صلح مع النمسا-فيما بعد-فى فينا فى أكتوبر سنة1809م قام بتطليقها..وقد اضطره لذلك عدم إنجابها حيث كان هناك حاجة لوريث للإمبراطورية، لذلك جاء زواجه الثاني لأسباب سياسية، وكانت الزوجة الثانية هى "مارى لويز" النمساوية سليلة عائلة هابسبرج العريقة التى تربعت على عرش النمسا لكن ذلك الزواج لم يكن سعيدًا موفقًا..حيث كانت مارى زوجة غير مخلصة له، وتخلت عنه

حينما انقلبت دولتها عليه مرة أخرى لذلك فإن وليده من ذلك الزواج نشأ فى ظل أشخاص يكنون أشد الكره لأبيه.

• **نتيجة الحصار**

ولكن..إلى أى مدى نجح الحصار القاري الذى لجأ إليه نابليون؟

لقد نجح بالفعل ذلك الحصار فى تقويض قوة بريطانيا البحرية..ولكن فى نفس الوقت لم تتحمل الدول الأوربية الحرمان من البضائع التى كانت تحملها لها السفن البريطانية والتى اعتمدت على كثير منها فى حياتها اليومية، وبذلك ساد شعور بأن نابليون يعمل على خنق الدول الأوربية بذلك الحصار أكثر ما يعمل على تقويض قوة بريطانيا وإذلالها، وعمومًا فقد تفاوتت ردود أفعال تلك الدول تجاه ذلك الحصار القاري على النحو التالي:

• **الدنمارك:**

كانت الدنمارك بطبيعة الحال تكن حالة من العداء ضد بريطانيا بعدما قامت بتحطيم أسطولها البحري، لذلك فإنها انحازت لفرنسا، وأيدت الحصار القاري.

• **السويد:**

أما السويد فانحازت لبريطانيا فى بادئ الأمر لكن بريطانيا تخلت عنها، وتركتها تحت رحمة روسيا، لكنها لجأت بعد ذلك لتدبر أمرها وسيادتها فعزلت ملكها الضعيف "جوستاف الرابع" حيث جاء مكانه "شارل الثالث عشر"، وأظهرت فى نفس الوقت انحيازًا

لفرنسا بتعيين المارشال الفرنسي "برنادوت" وليًا للعهد الذى أظهر مهارة عسكرية رفيعة جعلته يُنتخب فيما بعد كملك للسويد تحت اسم "شارل الرابع عشر" وذلك فى سنة 1818م.

• أسبانيا:

أما أسبانيا فكانت خاضعة للنفوذ البونابرتي منذ البداية. وقد انتهز نابليون فيما بعد فرصة الصراع بين ملك أسبانيا "كارلوس الرابع" وولي عهده فى السيطرة التامة على البلاد.. حيث نجح فى إغرائهما بالتنازل عن العرش مقابل ضمان سلامتهما، وقام بتولية أخيه "جوزيف بونابرت" ملكًا على عرش أسبانيا فى سنة 1808م. وكان جوزيف يشغل منصب ملك نابولى، وبعدما خلا منصبه تولى العرش مكانه العرش المارشال "مورات" الذى كان زوجًا لإحدى أخوات نابليون.

يواخيم مورات

كان مورات يشغل منصب قائد فرقة الفرسان فى جيش نابليون. وتزوج من أخت نابليون وهى "كارولين". وقام نابليون بتوليته عرش مملكة نابولى.

obeikandl.com

• البرتغال:

أما البرتغال فأبت الخضوع للنفوذ البونابرتي، وظلت رافضة للدخول فى دائرة الحصار القاري، فلم يكن أمام نابليون سوى مهاجمتها، وإجبارها على الخضوع له حيث زحف الجيش الفرنسي بقيادة "جينو" إلى لشبونة عن طريق أسبانيا، وصارت الأسرة المالكة فى خطر مواجهة الجيش الفرنسي القادم، فلم يكن أمامها سوى الهرب حيث لجأت إلى الاستعانة ببعض قطع الأسطول البريطاني التى كانت راسية بمينائها، وهربت بها إحدى السفن إلى البرازيل بينما صارت البلاد تحت حكم القائد الفرنسي "جينو".

• سيِّدة القارة الأوربية:

بذلك امتد نفوذ فرنسا داخل أوربا إلى مدى بعيد بعدما خضعت لسيطرتها كبرى الدول الأوربية، وصار نابليون يتزعم إمبراطورية كبرى امتدت ما بين البرتغال، وأسبانيا، وسويسرا، وهولندا، والسويد، وبروسيا، وإيطاليا، فصارت فرنسا سيدة القارة الأوربية.. بينما ظلت بريطانيا سيدة البحار بلا منازع، واتجه نابليون بعد ذلك لتوسيع إمبراطوريته تجاه الشرق بغزو روسيا..